# الحوار بين الحضارات من منظور إسلامي

**مصطفى عبد القادر غنيمات**

**المقدمة:**

يندرج هذا البحث في إطار الدراسات والأبحاث التي تتناول الحضارات والعلاقة بينها. فإذا نظرنا إلى الحضارة ـ من منظور قومي ـ على أنها إنجازات أمة معينة في بقعة جغرافية معينة وفي فترة زمنية معينة على الصعيد المادي والمعنوي، فإن معظم الأمم والشعوب قد أسهمت وبدرجات متفاوتة في التراكمات الحضارية حتى وصلت الحضارة الإنسانية إلى ما وصلت إليه الآن، ومن ثم فنشوء الحضارات وتطورها لا يرتبط بعرق أو جنس بشري معين.

ولقد شهد التاريخ البشري ظهور عدة حضارات أفل بعضها وبقي البعض الآخر حياً. والمعيار الحقيقي للحضارة الحية هو إسهامها المتواصل في إنتاج المعارف والمهارات، والتطور المستمر في الإنجازات المادية والمعنوية، مما يمكنها من التواصل والتفاعل مع غيرها من الحضارات، فتأخذ وتعطي، وتؤثر وتتأثر.

وصحيح أن حضارة هذا العصر حضارة علم وتقنية، وهي حضارة الغرب، فهل ستكون هذه الحضارة نهاية المطاف في مسيرة التطور الحضاري؟ وتأتي الإجابة على لسان بعض فلاسفة ومؤرخي الغرب، فيؤكد الفيلسوف الألماني شبنجلر في كتابه **تدهور الحضارة الغربية** على أن حضارة الغرب قد تجاوزت مرحلة الشباب ودخلت مرحلة الشيخوخة والتدهور. وفي نفس السياق يأتي تأكيد آرنولد توينبي على أن أمراض الحضارة الغربية الراهنة حقيقية وخطيرة ولكنها قابلة للعلاج. كما يتخوف بريجنسكي ـ مستشار مجلس الأمن القومي في عهد الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ـ من الإسلام على الصعيد الحضاري.

وفي المقابل ومن أجل إنقاذ هذه الحضارة من التدهور والانحطاط ولتظل السيادة لحضارة

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

الغرب وثقافته، وتظل الولايات المتحدة الأمريكية هي القطب الوحيد المهيمن على العالم حضارياً وثقافياً وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً، تصدى بعض مفكري الغرب للدفاع عن هذه الحضارة فكانت لهم نظرياتهم ومقولاتهم، ومنها نظرية المركز والمحيط التي تؤكد على المركزية الحضارية والثقافية الغربية ومقولة صدام أو صراع الحضارات التي روجت لها وسائل الإعلام الأمريكية، ومن ثم جاءت آراء الباحثين تتعدد وتتباين حول هذه المقولة، فكان منها البديل المنطقي المعقول والمناسب وهو الحوار بين الحضارات لا الصراع بينها.

وإذا كان الحوار بين الحضارات حالة أو ظاهرة إنسانية مقبولة فإن القول بالصراع بين الحضارات حالة عدوانية تفصح عن مظاهر الكراهية والتمركز حول الذات أو الأنا وتهدف إلى إقصاء أو استبعاد جميع الحضارات الأخرى من الساحة العالمية.

والإسلام والحضارة العربية الإسلامية في قمة ما استهدفته النظريات أو المقولات السابقة ـ المركز والمحيط وصدام الحضارات.

وحين يتعلق الأمر بالحديث عن حوار الحضارات والمؤتمرات والندوات التي عقدت وتعقد لهذا الغرض، فإن طرح هذا الشعار ـ الحوار كبديل للصراع أو الصدام بين الحضارات ـ قد لا يخلو من البراءة في ظل طرحه الآن وبحدة على المستوى العالمي. فما موقف الإسلام من النظريات أو المقولات السابقة ؟ وما موقف الإسلام من الحوار بين الحضارات ؟

والجدير بالذكر هنا أنه إذا كان حوار الحضارات حالة أو ظاهرة إنسانية تبدو على أنها مقبولة ومعقولة فإن مقولة الصراع أو الصدام حالة عدوانية لا إنسانية نظراً لما تتضمنه من مظاهر الكراهية والعداء للإسلام والحضارة العربية الإسلامية من جهة ولأنها تهدف إلى إقصاء الحضارات الأخرى وخاصة الحضارة العربية الإسلامية من الساحة العالمية انطلاقاً من أن الصراع المستقبلي سيكون بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية من جهة ثانية.

ولقد جاءت مادة هذا البحث تتوزع ضمن مجموعة من المحاور في ضوء منهجية تعتمد التحليل والتركيب بين الأفكار التي تتناولها هذه الورقة.

أولاً: نظرية المركز والمحيط.

ثانياً: صدام أو صراع الحضارات.

ثالثاً: الإسلام وحوار الحضارات.

## أولاً: نظرية المركز والمحيط:

زعم بعض مفكري الغرب أن هناك أجناساً معينة قادرة على صنع الحضارة وأخرى لا يمكنها ذلك، وأن الجماعات البشرية القادرة على الإبداع الحضاري يتميز غالبية أفرادها بخصائص بدنية وخلقية وعقلية، ويتوارثها أفرادها، ومن ثم فالجنس الآري ـ الهندي الأوروبي ـ الذي كان يسكن المناطق الممتدة من شمال الهند إلى شمال أوروبا، ثم تفرع وامتد غرباً وشرقاً وشمالاً، هو الجنس الموهوب الذي ساد أهل المعمورة بخصائصه البدنية والذهنية، فكان منه العباقرة عند اليونان والرومان، وكان منه أخيراً أهل الغرب الأوروبي. والجنس الآري هو الذي أبدع كل ما هو عظيم في حضارة البشر. وقد استبدل الألمان مصطلح الجنس الهندي ـ الأوروبي بالجنس الهندي ـ الجرماني، ولم يسلم الأمريكيون من هذا الوهم والزعم. ولقد شاع القول بتفوق بعض الأجناس البشرية عند بعض مفكري الغرب خلال القرنين التاسع والعشرين.

والحقيقة أن الحضارة لم تكن وليدة عرق بشري معين، ولم تظهر في قارة دون أخرى، بل ظهرت في عصور مختلفة وفي أماكن متعددة من الكرة الأرضية، كحضارات وادي النيل وبلاد الرافدين والصين والهند واليونان والحضارة العربية الإسلامية ثم الحضارة الغربية، وذلك على سبيل التمثيل لا الحصر.

وإذن فالقول بنقاوة دم بعض العروق والأجناس وتفوقها على غيرها، إنما هو وهم وزعم باطل من أساسه لا يقره العلم ولا يقبله منطق العقل. وعليه فالنظرية العرقية أو نظرية المركز والمحيط تعتبر الحضارة الغربية هي المركز ـ المركزية الحضارية ـ وتريد العالم حضارة واحدة مهيمنة ومتحكمة في الأنماط والتكتلات الحضارية الأخرى، كما تهدف إلى أن تكون الثقافة الغربية هي المركز والثقافات الأخرى هامشية أو محيطية تستمد من الثقافة الغربية ـ المركز. والحقيقة أن هذه النظرية إنما هي تزييف للحقيقة، إذ أن الحضارة ظاهرة إنسانية عامة تشارك في صنعها مختلف الأمم والشعوب[١].

وإذا كانت الحضارة الغربية هي حضارة هذا العصر، فإنها لن تكون نهاية المطاف في مسيرة التطور الحضاري. فهي تمر الآن في مرحلة الانحطاط والتدهور، وهذا ما يؤكده بعض فلاسفة ومؤرخي الغرب. يرى الفيلسوف الألماني شبنجلر أن الانحطاط الحضاري للغرب سيشغل القرون الأولى من الدورة الألفية القادمة من الأعوام، وأن طلائعه ظاهرة للعيان، ونحس به حولنا، وأعني به انحطاط الغرب[٢]. ويؤكد

---

١- نور الدين حاطوم وآخرون، **موجز تاريخ الحضارة**، مطبعة الكمال، دمشق، ١٩٦٥م، ص ٧٦.

٢- شبنجلر، **تدهور الحضارة الغربية**، ترجمة: أحمد الشبلي، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٥م، ج ١، ص ٢١٧.

شبنجلر على أن الحضارة الغربية قد تجاوزت مرحلة الشباب والقوة ودخلت مرحلة الشيخوخة والتدهور فاتهم بالتشاؤم من طرف بعض مفكري الغرب، علماً بأنه كان ينفي عن نفسه هذه التهمة مؤكداً على أنه الوحيد الذي يرى مستقبل الغرب، ويفتح الطريق أمام تلافي العلة، وإن كان الموت هو النهاية المحتومة(٣). فالحضارة الغربية في نظره "سائرة حتماً إلى الانحلال، وهو المصدر الذي لا مردّ عنه ولا مفر منه، وعلى الغربيين أن يفتحوا عيونهم ويواجهوا هذا المصير المحتوم بوعي وشجاعة، ومن هنا كتابه **تدهور الحضارة الغربية**"(٤).

وفي نفس السياق تأتي صيحة آرنولد توينبي ـ مؤرخ إنجليزي ـ فيؤكد على أن أمراض الحضارة الغربية الراهنة حقيقية وخطيرة، لكنها قابلة للعلاج، وأن هذه الحضارة العالمية قادرة على أن تتجدد وتستمر من داخلها(٥).

وتعلو صيحة زبغنيو بريجنسكي الذي شغل منصب مستشار مجلس الأمن القومي في عهد الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر فيتخوف من الإسلام على الصعيد الحضاري، كما يبدي تخوفه على مستقبل أمريكا وذلك في كتابه **الفوضى** نظراً لما تواجهه من تحديات داخلية أو عيوب تعكس قيم المجتمع وثقافته، فتجعلها ضعيفة عالمياً على الصعيد الأخلاقي والاجتماعي، فهي من جانب "تتربع على قمة العالم" ومن جانب آخر "فإن دينامية التغير الاجتماعي الأمريكي والمبدأ الذي تتضمنه رسالة أمريكا إلى العالم يهددان بتقويض دور أمريكا الخاص كقائده للعالم"(٦).

الحضارة الغربية تعاني الآن أزمة القيم، فهي تفتقر إلى التوازن بين تقدم تكنولوجي مذهل وتراجع روحي وسلوكي وقيمي. ومن هنا يصف بريجنسكي التلفاز الأوروبي ميله الشديد إلى "الجنس والعاطفة" وأن برامجه "تمجد الإمتاع الذاتي، وتطبع العنف والوحشية، وتشجع الجنس غير الشرعي" كما أن أغلب الأفلام الأمريكية المعاصرة قد ارتدت "رداء العنف الوحشي والبربرية الجسدية والجنسية"(٧).

وإذن فرقيّ المجتمعات واستمراريتها في التقدم والتحضر لا يقاس بما يتحقق من منجزات

---

٣- المرجع السابق، ص ٣٥٩.

٤- قسطنطين زريق، في **معركة الحضارة**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨١م، ص ٦٤-٦٥.

٥- محمد فتحي عثمان، **القيم الحضارية في رسالة الإسلام: الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم**، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، المجلد الأول، ص ٧١-٧٢.

٦- زبغنيو بريجنسكي، **الفوضى**، ترجمة: مالك فاضل، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨م، ص ٧٥.

٧- المرجع نفسه، ص ٦٨-٦٩.

علمية واختراعات في عالم المادة وحسب وإنما بسيادة القيم الإنسانية أيضاً، من عدل ومساواة وحب وتعاطف وإيثار واستقامة ونظافة في التصور والسلوك والمعاملة، واعتبار الإنسانية الإنسان وحقه في الحياة، وكل ذلك في إطار من التوازن بين الجانب المادي والجانب القيمي والروحي.

حقاً إن أزمة الحضارة الغربية أزمة قيم، الأمر الذي يصرح به بريجنسكي في كتابه المشار إليه آنفاً. فهو يتحدث عن الانتشار الواسع لثقافة المخدرات التي أصبحت تهيمن على الأحياء الفقيرة باعتبارها نمطاً للهروب النفسي، وأسلوباً بديلاً للثراء بسرعة، إضافة إلى الإباحية الجنسية والإيدز والدعاية الهائلة للفساد الأخلاقي من خلال الإعلام المرئي الذي يركز على العنف والجنس كوسيلة لجذب المشاهدين(٨).

وإزاء هذا الواقع المرير الذي يعيشه الغرب حضارياً وثقافياً وقيمياً مما ينذر ويهدد بانهياره وتدهوره حضارياً من جهة، والتخوف من الإسلام على الصعيد الحضاري من جهة ثانية، والكراهية المتأصلة للإسلام والحضارة الإسلامية من طرف بعض مفكري الغرب من جهة ثالثة، ومن أجل أن تظل الولايات المتحدة الأمريكية القطب الوحيد المهيمن عالمياً فلا تمس مصالحها، من أجل ذلك كله كانت فكرة نهاية التاريخ ومقولة صدام الحضارات.

**ثانياً: صدام أو صراع الحضارات:**

فقد أعلن فوكوياما الأمريكي ومن أصل ياباني عن فكرة "نهاية التاريخ"(٩). حيث قال بأن انهيار القطبية الثنائية بانهيار الاتحاد السوفييتي كإطار للشيوعية أدى إلى انفراد الرأسمالية والليبرالية الغربية بالعالم، وهذا يمثل نهاية التاريخ ونقطة النهاية للتطور الإيديولوجي للبشرية وتعميم الليبرالية الديمقراطية الغربية على المستوى العالمي، ومن ثم على العالم أن يتقبل النظام الجديد بكل ما فيه من حرية، وأن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي بدت تسطر نهاية التاريخ. ألا يعني ذلك سيادة النظام الواحد ومن ثم نهاية الصراع؟ أليس ذلك ترويجاً للنموذج الأمريكي الذي سيبقى باعتقاده مسيطراً ومهيمناً ومؤثراً في النظام العالمي بأسره؟ ولقد توارت فكرة "نهاية التاريخ" بسرعة واختفت، ولم تعد تثير الاهتمام بعد إعلان هانتنغتون عن أطروحته حول صدام الحضارات(١٠).

---

٨- نفس المرجع، ص ٩١-٩٢.

٩- محمد عابد الجابري، **قضايا في الفكر المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٨٣.

١٠- نفس المرجع ونفس الصفحة. وهانتنغتون أمريكي من أصل يهودي، وهو متخصص في الإدارة العامة ومدير لمعهد جون أولين للدراسات الإستراتيجية بجامعة هارفرد الشهيرة. وقد كرس حياته المهنية لموضوع الإستراتيجية العسكرية، بحثاً وتدريساً، واهتم بصورة مباشرة بالدراسة المقارنة في مجال السياسة الأمريكية وسياسات دول العالم الثالث.

ظهرت هذه الأطروحة على شكل مقال في مجلة شؤون الخارجية الأمريكية صيف عام ١٩٩٣م، ثم نشرت فيما بعد في كتاب كان الأكثر رواجاً بعد اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) ٢٠٠١م حيث روجت له مختلف وسائل الإعلام الأمريكية. إن أطروحة صدام أو صراع الحضارات تتحدث عن المستقبل وتنذر بخطر المواجهة والحرب، وتدعو صراحة إلى أخذ الحيطة والاستعداد للدفاع عن النموذج الحضاري الأمريكي وعن المصالح التي يقوم عليها وتخصيص ما يلزم من الأموال لذلك[١١]. ولقد تعددت آراء الباحثين حول أطروحة هانتنغتون، فبعضهم رفضوا هذه الفكرة أو المقولة، وشككوا في نوايا صاحبها ودوافعه وأهدافه، بينما أيدها بعضهم، وآخرون اقترحوا فكرة حوار الحضارات بديلاً عن الصراع بينها[١٢].

ولقد قام الدكتور محمد عابد الجابري بتحليل ونقد مقولة هانتنغتون مبيناً أهدافها العدوانية وتهافتها وتناقضاتها مؤكداً على أن حوار الحضارات حالة إنسانية مقبولة ومعقولة بينما الصدام أو الصراع بينها حالة عدوانية. ومن ثم فصدام الحضارات من الناحية العلمية مجرد وهم، إذ يجب أن تكون الحضارات عبارة عن صحون أو سيارات أو ما شابه هذه وتلك حتى يمكن تصورها تتصادم. فهي إذن فكرة غير معقولة، ولكنها "من ناحية الإستراتيجية السياسية والعسكرية والثقافية تنطوي فعلاً على قضية. وبما أننا نحن العرب والمسلمين على رأس المستهدفين فيها فمن الواجب المساهمة في فضحها، فضلاً عن وجوب تعميم الوعي بمضمونها وأهدافها"[١٣].

ويصف الجابري مقالة هانتنغتون قائلاً: "فالأفكار تتكرر وتتدافع والشواهد تتداخل في غير نظام، والتحليل مضطرب، والاستدلال متهافت، والأمثلة تعج بالمغالطات ... كل ذلك يدل على أن المبدأ الذي يحكم النص هو المبدأ المعروف بـ: "الغاية تبرر الوسيلة". ومن الوسائل التي يستعملها الكاتب ... اللجوء إلى التعميم واصطناع الغموض، والقفز من قضية إلى أخرى ومن مثال إلى آخر بمناسبة وغير مناسبة، وذلك هو أسلوب المغالطة كما هو معروف في المنطق"[١٤].

---

١١- المرجع السابق، ص ٨٤.

١٢- نفس المرجع، ص ٨٣.

١٣- نفس المرجع، ص ٨٦.

١٤- نفس المرجع، ص ٩٣.

وإذن فقد كان المقال وسيلة موجهة لتحقيق أهداف مرسومة مسبقاً ومنها: هيمنة الغرب على العالم وتبرير سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على السياسة العالمية، وسيطرة الثقافة الأمريكية على الثقافات الأخرى باختراقها من داخلها وخارجها ثم طمسها لتكون الثقافة الغربية هي الثقافة العالمية في نظره ـ الثقافة المركز. والواقع أن الصراع المستقبلي ـ وكما يؤكد على ذلك الجابري "سيكون صراعاً بين الأمم والشعوب المتطلعة إلى الحرية والديمقراطية مع القوى الإمبريالية المهيمنة عالمياً سواء تحت غطاء الليبرالية أو أيّ غطاء آخر. أما صراع الحضارات فهو مجرد تعبير كاذب يقصد به صرف النظر عن حقيقة الصراع القائم والمقبل"(١٥). وإذن فالصراع كان "وما يزال ضد الغرب، لا كشعوب أو حضارة، بل ضد سياسته الاستعمارية وهيمنته الإمبريالية. أما الحضارة الغربية، سواء الجانب الصناعي فيها أو الجانب التنظيمي والمعيشي والفكري والعمراني، فقد استقبلتها الأمم والشعوب المستعمرة بالاقتباس منها والنسج على منوالها، وما زالت تفعل"(١٦).

وحين يؤكد هانتنغتون في مقاله أو نظريته أو أطروحته على حتمية الصراع المستقبلي بين الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية من جهة، والحضارة الغربية من جهة ثانية، فإنه يبرر ذلك بأنهما لا يمكن أن تندمجا في الغرب، إذ أن أهل هاتين الحضارتين يطلبون التحديث ويسعون إليه، وفي نفس الوقت يرفضون التغريب، أي الاندماج في الغرب والاستسلام لهيمنته. ولما اجتمع قادة حلف شمال الأطلسي في أعقاب حرب الخليج الثانية وناقشوا أوضاع ما بعد الحرب، أصدروا بياناً يتحدث بكل صراحة عن أن الأصولية الإسلامية هي العدو الإستراتيجي القادم للحلف وللحضارة الغربية.

وإذن وبعد انهيار الكتلة الشيوعية التي كانت تشكل معسكراً منافساً وعدواً للمعسكر الرأسمالي الغربي، اتجه البحث لدى الولايات المتحدة الأمريكية عن عدو آخر، فكان الإسلام. ولكن الذي يدعو للتأمل هو أن ترى في الإسلام تهديداً مباشراً يعادل التهديد الشيوعي لها وللحضارة الغربية، خاصة وأن الحاجة إلى عدو مفترض ينبغي أن يتميز هذا العدو بطابع المنافسة والندية. ومن هنا يرى البعض أن الواقع الراهن يعكس غياباً فعلياً لأيّ صراع بين الحضارات سواء أكانت إسلامية أو غير إسلامية، لا سيما وأن الحضارة الغربية هي السائدة الآن عالمياً. إنه الحقد الدفين والكراهية والعداء وإثارة الشكوك حول

---

١٥- المرجع السابق، ص ٩٧.

١٦- نفس المرجع، ص ٩٩.

الإسلام والحضارة الإسلامية. وصدق الله العظيم القائل: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾(١٧).

يتساءل روبير فيدرين وزير الخارجية الفرنسي السابق قائلاً: "كيف ننكر وجود صراع بين الإسلام والغرب في حين تظهر معالمه للعيان بألف طريقة وطريقة، موغلاً جذوره في التاريخ"(١٨). إن قادة الفكر والسياسة في الغرب "يخشون على حضارتهم من كل بادرة إحياء لتلك الحضارة التي كانت سائدة. ومما يزيد في خوفهم قول المختصين منهم في التاريخ الإسلامي، أن للإسلام مقدرة عجيبة على العودة كلما هزم"(١٩). ولهذا يعمل الغرب بكل إمكاناته ومؤسساته على احتواء العرب والمسلمين حضارياً حتى تختم دورات هذا الصراع بانتصار حاسم ونهائي(٢٠).

ومن هنا يؤكد هانتنغتون في مقاله على الاحتياطات الضرورية الواجب على الغرب أن يتبعها على المدى القريب والمدى البعيد. فعليه "أن يعمل من جهة على ضمان تفوقه العسكري والتكنولوجي والاقتصادي على الصين والدول العربية والإسلامية بالصورة التي تمكنه من قهرها وتحجيمها إلى أقصى حد، كما أن عليه من جهة أخرى أن يجتهد في احتواء الحضارات الأخرى، بما في ذلك الحضارة الصينية والحضارة الإسلامية باختراقهما من الداخل ومن الخارج معاً"(٢١). إن مظاهر الكراهية والعداء للإسلام من طرف بعض مفكري الغرب وقياداتهم السياسية إنما تستند إلى تخوفهم منه على الصعيد الحضاري.

ولهذا السبب كان التساؤل المطروح من طرف بعض مفكري الغرب عن مصير الحضارة الغربية إذا ما تقدم الإسلام ونهضت الحضارة الإسلامية. وهو ما عبر عنه بكل وضوح وصراحة كل من فوكوياما وهانتنغتون وغيرهما من أن الإسلام هو العدو الصريح لحضارة الغرب بكل منظوماتها وقيمها ومنجزاتها، وأن المسلمين لديهم ميل طبيعي للعنف والعدوانية والانتقام من الغرب، وأن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي ما زالت عصية على الاحتواء الغربي والحداثة(٢٢).

---

١٧- سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

١٨- أكرم حجازي، **بين توتر الذات وصميم الآخر**، ثمة محاولات للعقلنة، ورقة قدمت إلى ندوة "حوار الثقافات" التي عقدتها كلية الآداب في جامعة تعز، اليمن، الموسم الثقافي السنوي، ٢٣/ ٥ -٣/ ٦، ٢٠٠٤م.

١٩- نفس المرجع.

٢٠- محمد عمارة، **العرب والتحدي**، دار الشروق، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٢٨٤.

٢١- محمد الجابري، **قضايا في الفكر المعاصر**، ص ١٢٤.

٢٢- أكرم حجازي، **بين توتر الذات وصميم الآخر**، نفس المرجع.

كما أن كثيراً من الباحثين المستشرقين يقدمون لصانعي القرار الغربي صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين حيث يحرفون آيات القرآن، ويحذفون من كتب المسلمين ما لا يروق لهم، ويخلطون الآيات القرآنية بأبيات الشعر، ويجعلون الأحاديث النبوية من كلام بعضهم ... ومن ثم يخرجون بأبحاث تقدم لصانعي القرار الغربي كنتائج علمية(٢٣).

بالأمس القريب كان الغرب يتخذ من الإسلام حليفاً ضد الشيوعية، فساند بالمال والسلاح والخبرة حركات ثورية ترفع راية الإسلام. أما اليوم فالإسلام في نظر الغرب ـ الذي يتكلم باسمه هانتنغتون ـ شيء آخر. إنه "العدو رقم ١". أما الصين فقد كانت هي والاتحاد السوفييتي تشكل العدو رقم ١ للغرب يوم كانت سياستها منسجمة مع سياسة الاتحاد السوفييتي. وعندما حصلت القطيعة بين بكين وموسكو تغير موقف الغرب منها، واعترفت بها الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي عادت الصين لتكون عدواً للغرب بسبب امتلاكها للقنبلة الذرية وسياستها المستقلة، ودخولها في مرحلة الازدهار الاقتصادي الذي قد يجعل منها منافساً حقيقياً لمصالح الغرب الاقتصادية في شرق آسيا(٢٤). إن ما يخيف الغرب في الإسلام أو في الصين هو ما يهدد مصالحه، أي هيمنته وسيطرته. وإذن هناك ثابت أساسي واحد في موقف الغرب، والباقي متغيرات. وليس الثابت في تحركات الغرب شيئاً آخر غير "المصالح"، فعندما تمس مصالح الغرب أو يكون هناك ما يتهددها يتغير الموقف(٢٥).

لقد تعددت مواقف واتجاهات الباحثين إزاء أطروحة هانتنغتون. فهناك اتجاه يؤيدها، واتجاه يرفضها مشككاً في نوايا صاحبها وأهدافه التي تتمحور حول هيمنة الغرب وسيطرته حضارياً وثقافياً، واتجاه ثالث يطرح شعار حوار الحضارات كبديل للصراع بينها.

فماذا يعني هذا الشعار؟ وما خلفية طرحه الآن وبحدة فتعقد له المؤتمرات والندوات على المستوى العالمي؟ وما موقف الإسلام من حوار الحضارات؟ ما أهداف الحوار وقواعده وشروطه وضوابطه من منظور إسلامي؟ وهل تتحقق أهداف الحوار في ظل الظروف الراهنة فيتم إنقاذ العالم من التحديات التي تواجهه والأزمات التي يعاني منها؟ وهل هناك اتفاق بين الباحثين حول جدوى هذا الحوار في ظل الظروف الراهنة؟

---

٢٣- علي حسن الخربوطي، **المستشرقون والتاريخ الإسلامي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٠٩.

٢٤- محمد عابد الجابري، **قضايا في الفكر المعاصر**، ص ١٢٧-١٢٨.

٢٥- المرجع السابق، ص ١٢٧.

**ثالثاً:	الإسلام وحوار الحضارات:**

وبغضّ النظر عن خلفية طرح هذا الشعار الآن وبحدة، يمكننا القول مبدئياً أن الحوار بين الحضارات حالة إنسانية مقبولة ومعقولة، بينما القول بالصدام أو الصراع بينها هو حالة عدوانية. لكن طرح شعار الحوار بين الحضارات الآن وبحدة على المستوى العالمي قد لا يخلو من البراءة فهو امتصاص المعارضة لهيمنة الغرب وبقاء السيطرة للحضارة الغربية وخاصة بعد طرح مقولة الصدام أو الصراع بين الحضارات والانتقادات التي تعرضت لها من طرف كثير من الباحثين.

إن جوهر القضية المطروحة هو "المصالح" أي مصالح الغرب، ومنها النفط والسوق العربية والموقع الإستراتيجي وما إلى ذلك. ومن الطبيعي أن يشعر الغرب "بأن أيّ تقدم يحققه العرب والمسلمون سيكون على حسابه" هذا من جهة. ومن جهة ثانية فإن "العرب والمسلمين لا يستطيعون في الظرف الراهن على الأقل تحقيق التقدم بدون التعامل مع الغرب. إن النفط في بلاد العرب والإسلام سيبقى شيئاً لا قيمة له إذا لم يشتره الغرب. أضف إلى ذلك المواد الأولية الأخرى كالمعادن والفوسفات، وكذا الفواكه والحمضيات، وعائدات السياحة وتحويلات العمال المهاجرين ... إلخ"[٢٦].

وإذن فالمشكلة الحقيقية القائمة بين الغرب وأقطار العالم الثالث هي عدم التوازن في تبادل المصالح على الصعيد الاقتصادي من ناحية، وعلى الصعيد الثقافي من ناحية ثانية. فهناك حضور قوي للغات الغرب وثقافته في مدارسنا وجامعاتنا. فهل هناك حضور مماثل ولو في حده الأدنى للغتنا وثقافتنا في مدارس الغرب وجامعاته؟ وإلى جانب هذا النوع من الحوار الثقافي الذي يجب أن يجري في إطار التعرف على الآخر في المواد الدراسية في مختلف مراحل التعليم وبصورة متوازنة. فإنه يجب أن يكون هناك حوار بين أهل الفكر في الغرب والعالم العربي الإسلامي.

إن الصورة المشوهة عن عالمنا العربي والإسلامي التي تقدمها وسائل الإعلام في الغرب، والدراسات والمقالات الغربية المغرضة، يجب العمل على نشرها في الساحة الفكرية العربية، وأن يتصدى لها المفكرون في العالم العربي والإسلامي لمناقشتها ودحضها بأسلوب علمي. كما يجب نشر الردود في نفس المجالات وغيرها من وسائل الإعلام في الغرب. وهذا من مهام الجامعة العربية والمنظمات المتفرعة عنها، ومركز الدراسات الإستراتيجية العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي.

إن حوار الحضارات سيظل مفهوماً ضبابياً ملتبساً إذا لم نبادر إلى ربطه بإستراتيجية توازن

---

٢٦-	المرجع السابق، ص ١٣٢.

المصالح من جهة وإذا لم نرتفع به إلى المستوى الذي يمكننا من تقديم التحليلات والردود المضادة وفي مستوى ما ينتجه الآخر من جهة ثانية(٢٧). فالمناهج التعليمية الغربية تخلو من المصادر والمراجع والنصوص العربية الإسلامية التي تعرف الطلبة في الغرب عن العرب والمسلمين سواء من النواحي الفكرية أو التاريخية أو الجغرافية، وإذا وجدت بعض النصوص، فيتم اختيارها انتقائياً وتعسفاً، كما لا تحتل العناصر الحضارية العربية الإسلامية في الإعلام الغربي أي مكان مضيء. بل أكثر من ذلك حيث تجري محاولات لطمس الحضارة العربية الإسلامية وربط الحضارة الغربية الحديثة بحضارة اليونان والرومان، واعتبار الحضارة الإسلامية صورة مشوهة لحضارة اليونان، وأنها لم تكن غير جسر عبرت عليه هذه الحضارة إلى أوروبا.

وكثيراً ما يقال أن العرب كانوا مجرد قنطرة انتقلت عبرها العلوم اليونانية إلى أوروبا، بل إن بعض مؤرخي العلم يخطئون فيغفلون هذه القنطرة، فيصفون سلسلة تمتد من المصريين القدماء والبابليين إلى اليونانيين ثم إلى الأوروبيين في العصور الوسطى والحديثة. في حين أن الواقع عكس ذلك تماماً. فما نقلته أوروبا عن العرب لم يكن العلم اليوناني بل العلم العربي التجريبي، إضافة إلى أن المنهج العلمي كان من اكتشاف علماء الإسلام(٢٨).

إن المناهج التعليمية الغربية ما زالت حافلة بالصور السلبية عن الإسلام والمسلمين وإلصاق تهم الإرهاب والتطرف بهم، كما أن الإعلام الغربي لا يكف عن ممارسة التشويه وتعميق الفجوة بين الغرب والإسلام والمسلمين، الشيء الذي يدفع الكثيرين في العالم الإسلامي إلى الاعتقاد بكيد الغرب الدائم ضدهم ومن ثم فحوار الحضارات في نظرهم إن هو إلا وهم من جهة، ولن يؤدي إلا إلى فرض النمط الحضاري الغربي من جهة ثانية، وذلك لاختلال ميزان القوى الدولية وانعدام التوازن في المصالح، ومن ثم فالحوار لن يكون مجدياً في ظل غياب التكافؤ بين الأطراف، ويكون حوار الحضارات واجهة تخفي وراءها صراع المصالح.

---

٢٧- محمد عابد الجابري، **حوار الثقافات**، ورقة قدمت في الندوة المنعقدة في عمان بتاريخ ٢٠/٣/٢٠٠٢م، بمناسبة إعلان عمان عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٢م.

٢٨- عبد الكريم اليافي، **تمهيد في علم الاجتماع**، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ط ٤، ١٩٦٤م، ص ١٢٧- ١٢٨. وعلي سامي النشار، **مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي**، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٩٨٧م، ص ١١، ٢٧٦، ٢٧٧.

وهناك آخرون يرون أن الحوار ضروري للخروج بالعالم من أزمته الراهنة، إلا أنه لا بد من توفر الشروط اللازمة لتحقيق الأهداف الحقيقية للحوار. إن منطق الحوار يستند إلى حقيقة أن الحضارات لا يمكن أن تكون جزراً معزولة عن بعضها، بل هي اتصال وتفاعل فيما بينها، تؤثر في بعضها، وتتأثر ببعضها(٢٩).

فالحوار بين الحضارات ظاهرة أو حالة إنسانية وعلاقة بين الحضارات تستند إلى التلاقح والتفاعل والتبادل في التأثير بينها أخذاً وعطاءً وعلى مر العصور. فهي إذن ظاهرة قديمة قدم الأمم والشعوب. وهي ظاهرة جديدة من حيث طرحها الآن وبقوة على الصعيد العالمي، فتتعدد آراء وتحليلات ومواقف الباحثين منها. وقد أشرنا سابقاً إلى خلفية هذا الاهتمام المتزايد بهذه الظاهرة وطرحها بقوة، إضافة إلى أن هناك فريقاً من الباحثين يؤيدون طرح هذا الشعار والحديث عنه كبديل لمقولة الصراع الحضاري من جهة، ودفاعاً عن الإسلام ضد حملات التشكيك والتشويه والكراهية والعداء للإسلام والمسلمين من جهة ثانية.

ولقد اعتقد البعض في العالم الإسلامي أن مواجهة العداء الغربي للإسلام إنما تتم من خلال محاور عديدة منها: إبراز شعار حوار الحضارات، وتحسين صورة الإسلام في الغرب، وتغيير الخطاب الديني الإسلامي بحيث يكون مقبولاً على المستوى الدولي والغربي خاصة. فكثرت المساجلات حول هذا الموضوع، واختلط فيها الثابت مع المتغير، بل واختلط فيها تحديد من أين نشأت المشكلة بين الشرق والغرب، ومن هو المسؤول عن سوء التفاهم. كما اختلط فيها ما هو عقائدي مع ما هو سياسي. وغلب على النخبة الإسلامية الرسمية وغير الرسمية الطابع الاعتذاري عن جرائم لم نرتكبها، وكأن ضعفنا المادي وتخلفنا عن مواكبة أسباب التكنولوجيا المتطورة هو المسؤول عن خلط الأوراق وعدم ذكر الحقائق التي جرت وتجري على مشهد ومرأى العالم(٣٠).

إن حوار الحضارات مطلب إسلامي عبر عنه كثير من المفكرين الإسلاميين وردوا به على مقولة هانتنغتون. والإسلام يحض على الحوار والتفاهم والتعارف والتعايش السلمي بين الأمم والشعوب. فالإسلام وهو الدين الحق يقوم على الإقناع والاقتناع، فلا إيمان بحد السيف، استناداً إلى قوله تعالى:

---

٢٩- محمد مظفر الأدهمي، "العولمة والهوية الثقافية"، **مجلة آفاق عربية**، عدد ٣، أيار - حزيران، ١٩٩٧م، ص ٣٢.

٣٠- منى ياسين، **الغرب والإسلام: مجموعة دراسات مترجمة**، مراجعة وتعقيب: محجوب عمر، دار جهاد للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٤٣.

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(٣١). إنه مبدأ الحوار بالتي هي أحسن، وهو مبدأ متأصل في الدين الإسلامي. وإنها الدعوة إلى اتباع أفضل الأساليب وأحسنها في إقناع الطرف الآخر بالفكرة التي يدور حولها الحوار، فيفضي ذلك في النهاية إلى المحبة وإزالة البغضاء والكراهية. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾(٣٢).

ومن مبادئ الحوار وشروطه أن يكون متكافئاً ومستنداً إلى الاحترام المتبادل للمبادئ والأفكار ومن ثم الاتفاق على القدر الضروري من الموضوعية وفي ذلك ضمان للوصول إلى النتائج المشتركة التي من شأنها تعزيز الجهود لتقوية أسباب التعايش السلمي بين الحضارات.

فلقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من العقل والحكمة والمجادلة بالتي هي أحسن أساساً ومنهاجاً للحوار والدعوة إلى الإسلام استناداً إلى ضوابط فريدة في التسامح وتقبل التنوع والتعددية الثقافية والحضارية. يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(٣٣). فالخطاب لأهل الكتاب ودعوتهم إلى الحوار من أجل الوصول إلى الحق.

الإسلام يوجب الحوار ويحث عليه للتعريف به والدعوة إليه، والدفاع عنه في وجه الشبهات التي تثار حوله من طرف أعدائه، وإزالة التصورات الفاسدة، كما يدعو إلى التعايش بين الأمم والشعوب، وكل ذلك في إطار من المبادئ والقواعد والضوابط الفريدة. فلا تمايز بين الشعوب، بل إن الاختلاف بينها أمر طبيعي، وهو من الآيات الدالة على عظمته وقدرته تعالى، وهو القائل عز وجل: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾(٣٤). فتمايز البشر في لغاتهم وألوانهم يترتب عليه الاختلاف في الثقافات، ومن ثم فلكل مجتمع هويته وخصوصيته الثقافية. يقول تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾(٣٥).

---

٣١- سورة النحل، الآية: ١٢٥.

٣٢- سورة فصلت، الآية: ٤٣.

٣٣- سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

٣٤- سورة الروم، الآية: ٢٢.

٣٥- سورة المائدة، الآية: ٤٨.

ومن الأصول الإنسانية المشتركة للحوار الإيمان بأن أصل البشر واحد، فالكل يعود إلى أب واحد وأم واحدة، فلا تفاضل بين الأجناس والألوان ولا للعنصرية والعصبية وادعاء النقاء العنصري، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[٣٦]. وقوله تعالى أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[٣٧]. فمقياس التفاضل بين الناس هو التقوى لا العرق ولا اللون. فالإسلام يدعو إلى التعارف بين الشعوب والقبائل. وفي إطار التمايز بين الأمم والشعوب يكون الهدف الأسمى للحوار هو التعارف والتعايش، وعدم استعلاء طائفة على أخرى، ولا أمة على الأخرى، والأكرم عند الله هو الأكثر تقوى، والحساب النهائي عند الله وليس على هذه الأرض الفانية. كما أن الخلاف العقائدي متروك لله عز وجل يحكم فيه يوم القيامة، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾[٣٨].

إن الإسلام إذ يقر بحقيقة الاختلاف بين الناس ومعتقداتهم فإنه يؤكد على أهمية التعايش والتعارف بينهم والذي يقود بدوره إلى التعاون وإلى كل ما فيه الخير للبشرية. ومعلوم أن التعاون من الشروط الأساسية لنشوء الحضارات وتطورها.

يحدثنا ابن خلدون في **مقدمته** قائلاً: "الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع" والاجتماع الإنساني يترتب عليه التعاون من أجل تحصيل القوت للغذاء والسلاح للمدافعة، ومن ثم فالاجتماع "ضروري للنوع الإنساني وإلا لم يكمل وجودهم، وما أراده الله من اعتمار العالم بهم، واستخلافه إياهم"[٣٩]. وإذن فالحضارة لا تنشأ ولا تتطور إلا باجتماع البشر وتعاونهم مع بعضهم. إن الإسلام يوجب التعاون في مجالات الخير والمصالح المشتركة المشروعة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[٤٠].

وإذا كانت الحربان العالميتان الأولى والثانية قد أودتا بحياة الملايين من البشر فإن الظروف

---

٣٦- سورة النساء، الآية: ١.

٣٧- سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٣٨- سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

٣٩- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٢م، ص ٤١-٤٣.

٤٠- سورة المائدة، الآية: ٢.

الراهنة والواقع الدولي ينذران بالمزيد من الشرور والحروب. فعصرنا الحاضر عصر الثورة العلمية في علوم الفضاء والذرة والبيولوجيا والاقتصاد والاجتماع والإدارة وغيرها. ونحن الآن نعيش في عالم تغيرت فيه الأحوال، وتطورت فيه الحقوق والواجبات، وكثرت فيه المنافسات والتهديدات. إنه عالم سمته التغير والتبدل. وسواء نظرنا إلى هذا التغير الذي حصل ويحصل على أنه تقدم وصعود في مدارج الرقي والحضارة أو نظرنا إليه على أنه ينطوي على كثير من الضلال والرجوع القهقري بالقيم الإنسانية الشريفة، فإن الواقع الذي لا بد من الاعتراف به هو أن التطورات والمستجدات في مختلف الميادين تتعاقب وتتزاحم في كل يوم، بل في كل ساعة(٤١).

وفي هذا العالم المتلاطم بالأفكار والعقائد يتخوف إنسان هذا العصر على الحضارة من الدمار بعد أن أصبحت تهددها أسلحة الدمار الشامل ـ النووية والبيولوجية والكيماوية ـ فهو يتساءل دوماً عن مصيره كإنسان، وعن مصير الحضارة التي أبدعتها الأجيال البشرية عبر العصور التاريخية. فالإنسان صانع الحضارة ومبدعها هو الذي يهددها الآن بالخطر والقضاء عليها وعلى نفسه إذا استسلم لغرائزه الحيوانية(٤٢).

وصحيح أن التقدم العلمي والتقني مكن الإنسان من فلق النواة وغزو الفضاء والإبحار في السفن الكونية. وأصبح في مقدور الناس الانتقال بسرعة عظمى فوق الأرض، يتعارفون ويتفاهمون ويتواصلون فيعرف كل إنسان عن الآخرين وعن الكون أضعاف ما كان يعرفه أسلافه سابقاً، وأصبح العالم أشبه بقرية نظراً للتقدم الهائل في وسائل النقل والاتصال السلكي واللاسلكي. لكن الإنسان صانع الحضارة يخاف عليها من الدمار كما أسلفنا. والإنسان الذي سعى للقضاء على الجراثيم يعود الآن ليعد حرب الجراثيم. والصواريخ التي طافت بالإنسان حول الأرض، وبها أدركنا القمر والسيارات تهدد الأرض بفناء الحضارة وإمحاء المدنية وفناء الحياة(٤٣).

إن الحضارة المعاصرة ـ حضارة الغرب ـ تطغى فيها الاعتبارات المادية والمصلحية على حساب القيم والمبادئ، ومن ثم فإن أزمة عالمنا المعاصر ناجمة عن انعدام التوازن بين التقدم التقني والجانب الروحي والأخلاقي(٤٤). ومن هنا فإن إنسان هذا العصر يعاني أزمة قيم وأزمة سلوك، والحضارة إنما

---

٤١- مصطفى غنيمات، **الحضارة والفكر العالمي**، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٢٢.

٤٢- نور الدين حاطوم وآخرون، **موجز تاريخ الحضارة**، الجزء الأول، ص ٥.

٤٣- عادل العوا، **التجربة الفلسفية**، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ط ٢، ١٩٦٤م، الجزء الثاني، ص ٧١٨-٧١٩.

٤٤- نور الدين حاطوم وآخرون، **موجز تاريخ الحضارة**، الجزء الأول، ص ١٠.

تنمو وتتطور في إطار من التوازن بين الجوانب المادية والروحية والأخلاقية.

ولقد جاء الإسلام يقيم توازناً وانسجاماً وتناسقاً بين الجانب المادي والجانب الروحي استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[٤٥]. إنه دين الوسط في كل شيء فلا يطغى العقل على الوحي، ولا يمنع الإيمان العقل من الاعتماد على التجربة والبحث العلمي. فهو دين يجعل العبادة عملاً والعمل عبادة[٤٦]. إنه دين يرفض التطرف ويحثّ على الاعتدال والوسطية. يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[٤٧]. وإذن فالإسلام وهو يحثّ على حوار الحضارات ينهى عن الفساد في الأرض ويدعو إلى الوسطية ويحرم الاعتداء على الآخرين. وهو إذ يوصي بالحوار فمن أجل تبليغ رسالته العالمية أيضاً وإلى الناس كافة لتكون رحمة وسعادة لهم. يقول تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٤٨]. كما يحث على الحوار في مواجهة التحديات والأزمات التي تعاني منها البشرية من خلال التعاون في المجالات التي تحقق السلام والطمأنينة والأمن لجميع الأطراف المتحاورة.

وحوار الحضارات أيضاً دعوة إلى التنافس السلمي النظيف في إعمار الأرض. يقول تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[٤٩]. لكن الصدام أو الصراع إنما يأتي من الطرف الآخر الذي يرفض الجنوح إلى السلم، فيستخدم وسائل الإكراه في فرض هيمنته وتحقيق مصالحه. يقول تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾[٥٠].

إن حوار الحضارات من منظور إسلامي يستند إلى أعدل منهج للتعايش السلمي بين الحضارات لا الصراع أو الصدام بينها. وهذا هو الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم من جهة، وهو من القواعد التي يستند إليها حوار الحضارات من منظور إسلامي من جهة ثانية. وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في إطار قواعد أو ثوابت في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ

---

٤٥- سورة القصص، الآية: ٧٧.

٤٦- سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط ٢، ١٩٦٧م، ص ١٦٩.

٤٧- سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

٤٨- سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٤٩- سورة هود، الآية: ٦١.

٥٠- سورة الأنفال، الآية: ٦١.

وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٥١).

تتضمن هاتان الآيتان القاعدة التي تحكم علاقة المسلمين بغيرهم سواء أكانوا أهل كتاب أم مشركين أم غير مؤمنين بأيّ دين من الأديان. فالمسلمون يلتزمون بحسن العلاقة مع غيرهم من بني البشر، وذلك لأن الأصل في الإسلام هو السلام والمحبة ونشر الخير والعدل والتسامح بين الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم. فهم لا يقاتلون ولا يعادون الآخرين بسبب معتقداتهم ولكن دفاعاً عن النفس والعقيدة. فالنهي عن المحبة والموالاة إنما يتعلق بأولئك الذين ما يزالون مستمرين في عدوانهم. إن هذه القاعدة التي تتأسس عليها علاقة المسلمين بغيرهم "هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية، بل نظرته الكلية إلى هذا الوجود، الصادر عن إله واحد، والمتجه إلى إله واحد، المتعاون في تصميمه اللدني وتقديره الأزلي، من وراء كل اختلاف وتنويع"(٥٢). إنها "القاعدة التي تتفق مع التصور الإسلامي الذي يجعل القضية بين المؤمنين ومخالفيهم هي قضية هذه العقدية دون غيرها ... فليس بينهم وبين الناس ما يتخاصمون عليه ويتقاتلون إلا حرية الدعوة وحرية الاعتقاد، وتحقيق منهج الله في الأرض، وإعلاء كلمة الله"(٥٣).

فالمسلم "يعيش في هذه الأرض لعقيدته، ويجعلها قضيته مع نفسه ومع الناس من حوله، فلا خصومة على مصلحة، ولا جهاد في عصبية ـ أي عصبية ـ من جنس أو أرض أو عشيرة أو نسب. إنما الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، ولتكون عقيدته هي المنهج المطبق في الحياة"(٥٤).

إن الوعي بوحدة الخلق والنشأة يمثل أساساً حيوياً للتعايش بين الناس، أما وهم التفوق والنقاء العرقي فيبعث على التعالي. ومن ثم فالحوار الذي يستهدف احتواء الآخر هو حوار محكوم عليه بالفشل. إن التنافس النظيف والسلمي بين الحضارات هو من مقومات التعايش ومن ثم فليس من حق طرف أن يستبد بالآخر أو يحرمه من حق الوجود والحياة كما يفعل الغرب الآن في ممارساته العدائية ضد العرب والمسلمين وعلى مختلف الأصعدة.

---

٥١- سورة الممتحنة، الآيتان: ٨-٩.

٥٢- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، الطبعة السادسة، بدون تاريخ، المجلد الثامن، الجزء الثامن والعشرون، ص٦٥-٦٦.

٥٣- المصدر السابق، ص ٦٦.

٥٤- نفس المصدر ونفس الصفحة.

والإسلام يحث على الحوار والاعتراف بالآخر ويدعو إلى استخدام الأساليب الحسنة في مخاطبة الآخر، ويضع قواعد للحوار مؤسسة على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. والقرآن الكريم إذ يؤكد على أن تكون الموعظة حسنة، يقرر أن يكون الجدال بالتي هي أحسن، لأن الموعظة تكون على الأغلب مع الموافقين، أما الجدال فيكون في العادة مع المخالفين، لهذا يجب أن يكون بالتي هي أحسن. فلو كان هناك أسلوبان للجدال والحوار أحدهما حسن وجيد والآخر أحسن منه وأجود، كان على المسلم الداعية أن يحاور مخالفيه بالأسلوب الذي هو أحسن وأجود[٥٥]. استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[٥٦]. فالقرآن الكريم يحث على الحوار، ويضع له إطاره الخلقي، على أن يتجه الحوار إلى تحقيق القيم والمصالح المشتركة، وفتح قنوات الاتصال للإفادة من التجربة الإنسانية في أوسع مجالاتها.

إن سلامة الفطرة الإنسانية في أصلها، وحب الإنسان بطبيعته للخير والعدل وكرهه للشر ونفوره من الظلم يشكل أحد القواسم المشتركة للحوار، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٥٧].

إن الحوار ممكن نظراً لوجود قواسم أو أصول مشتركة ومجال للتفاهم والتقارب، ومن ثم يبين لنا القرآن الكريم كيفية استغلال جوانب التلاقي بين المتحاورين والأصول التي يمكن الاتفاق عليها، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[٥٨]. والإسلام في دعوته إلى الحوار بين الحضارات يرفض المركزية الحضارية التي تريد العالم حضارة واحدة مهيمنة ومتحكمة في الأنماط والتكتلات الحضارية الأخرى، وذلك لأن دعوته للحوار تقوم على التفاعل بين الحضارات أخذاً وعطاءً، تأثراً وتأثيراً. ولما كان الإسلام ديناً عالمياً وخاتماً للرسالات السماوية فإنه

---

٥٥- يوسف القرضاوي، **خطابنا الإسلامي في عصر العولمة**، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٤٠-٤١.

٥٦- سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

٥٧- سورة الروم، الآية: ٣٠.

٥٨- سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

يرفض المركزية الدينية أيضاً التي تقوم على إكراه الناس وإلزامهم بدين واحد، وذلك لأن دعوة الإسلام إلى الحوار بين الحضارات والأديان إنما تستند إلى رؤية في التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالاتهم السماوية، إذ أن إيمان المسلم لا يكتمل إلا بالرسل جميعاً. يقول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[٥٩].

وإذا كان التسامح من القواعد التي تحكم علاقة المسلمين بغيرهم، فذلك لا يعني الاستعداد للذوبان في أيّ كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين. والحضارة الإنسانية نتاج التفاعل والتلاقح بين الحضارات لا الصراع بينها أو استعلاء بعضها على البعض الآخر. والحضارة الإسلامية لم تخرج عن إطار التفاعل مع الحضارات الأخرى.

حمل المسلمون قيم الإسلام العليا ومثله السامية ونشروها في كل أرجاء الدنيا، وبدأت عملية التفاعل بينها وبين الحضارات اليونانية والرومانية والفارسية والهندية وغيرها ومن ثم شهد العالم حضارة عربية إسلامية امتدت من شواطئ الأطلسي غرباً حتى مشارف الصين شرقاً. وقد أسهمت في إنضاجها مكونات حضارات الشعوب والأمم التي دخلت الإسلام، فاغتنت الحضارة الإسلامية بكل ذلك عن طريق التلاقح والتفاعل لا التصادم أو الصراع بينها وبين الحضارات الأخرى، فكانت الحضارة الإسلامية حضارة العالم آنذاك. ومن ثم فإذا كان لليونان فضل في ميدان الفلسفة فقد كان للمسلمين فضل في ميدان العلم والمنهج. ومعلوم أن علماء الإسلام هم الذين اكتشفوا المنهج العلمي[٦٠].

يؤكد سارطون في مؤلفه **مدخل إلى تاريخ العلم** على أن معظم النتائج العلمية لمدة أربعة قرون إنما صدرت عن العبقرية الإسلامية، وأن معظم الأبحاث العلمية الممتازة خلال تلك القرون إنما تمت في لغة العلم الكبرى ـ اللغة العربية ـ. ولقد تهيأ المناخ لسطوع الحضارة العلمية في العصر العربي الإسلامي، فأتيح للأمة العربية أن تقدم لأوروبا زاد نهضتها العلمية[٦١]. وقد كان للحضارة الإسلامية تأثيرها الهام في الحضارة الغربية. حيث يتحدث المستشرق سان سيمون في كتابه **علم الإنسان** عن التأثير الذي أحدثته الحضارة الإسلامية في الغرب قائلاً: "إن الدارس لبنيات الحضارة الإنسانية المختلفة لا يمكنه أن يتنكر

---

٥٩- سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

٦٠- علي سامي النشار، **مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي**، ص ٢٦٠.

٦١- نفس المرجع ونفس الصفحة. عبد الحليم منتصر، **تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه**، دار المعارف، مصر، ط ٦، ١٩٧٥م، ص ٧٥.

للدور الحضاري الخلاق الذي لعبه العرب والمسلمون في بناء النهضة العلمية لأوروبا الحديثة"(٦٢). ولقد أدرك أوغست كونت قدرة الإسلام في التعامل واحتواء جميع العقول والفلسفات والأفكار الإنسانية معبراً عن ذلك بقوله: "إن عبقرية الإسلام وقدرته الروحية لا يتناقضان البتة مع العقل كما هو الحال في الأديان الأخرى، بل ولا يتناقضان مع الفلسفة الوضعية نفسها، لأن الإسلام يتمشى أساساً مع واقع الإنسان، كل إنسان، بما له من عقيدة مبسطة، ومن شعائر عملية مفيدة"(٦٣).

أصدر المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة في الرابع من نوفمبر ١٩٦٦م إعلان مبادئ التعاون الثقافي بين الدول حيث جاءت مادته الأولى تنص على أن لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامها والمحافظة عليها. ومن حق كل شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته. وأن جميع الثقافات بما فيها من تنوع خصب، وبما بينها من تباين، وتأثير متبادل، تشكل جزءاً من التراث الذي يشترك في ملكيته البشر جميعاً. وإذن وبالرغم من الاختلاف الثقافي بين الشعوب فإنه يمكن قيام التعاون الإنساني على قاعدتي التعارف والتعايش بين الحضارات(٦٤).

لكن الغريب أن نجد الثقافة الغربية وهي تسعى لفرض مقاييسها ونظمها، تتحسب لأيّة ممانعة مشروعة، بل لا يروق لها أي التزام متميز حتى ولو اندرج تحت عناوين الممارسة الديمقراطية أو حرية المرأة في المشاركة العامة(٦٥). إن التمركز حول الذات والتعصب يشكلان عوائق أمام الحوار بين الحضارات، ومن ثم فالترويج للصدام بين الحضارات إنما يشكل خطورة على الأمن والسلم العالمي. وإن ما تعرضت له رموز المال والقوة في الولايات المتحدة الأمريكية في الحادي عشر من سبتمبر من هجمات مدمرة قد شكل منعطفاً جديداً في التاريخ الأمريكي العالمي، ومن ثم فإن اتهام وإدانة جماعات تنتمي إلى العالم العربي والإسلامي بالإرهاب دون اتفاق على معنى هذا المصطلح يقود إلى التساؤل حول مستقبل الحوار بين الحضارات.

لقد برزت في الغرب صورة المسلم الإرهابي، وأخذت العلاقة بين المسلمين والغرب تتسم

---

٦٢- وشدي فكار، **نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع خلال القرن الرابع عشر الهجري**، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٣١.

٦٣- المرجع السابق، ص ٣٢.

٦٤- عبد العزيز بن عثمان التويجري، **الحوار من أجل التعايش**، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٦.

٦٥- جلال أمين، "حوار الحضارات أو نضال من لا نضال له"، **جريدة العربي**، القاهرة، العدد ٧٨٧، ٩/ ١٢/ ٢٠٠١م، ص ١٣.

بالكراهية والاشمئزاز، وتعرض العرب والمسلمون إلى مزيد من الضغوطات. وأخذت الشعوب الإسلامية ودولها تتعرض إلى حملات إعلامية تشوه صورة الإسلام والمسلمين في الغرب، وتصف الإسلام بالتطرف والإرهاب، علماً بأن الإرهاب ظاهرة عالمية تستوجب جهوداً دولية للتصدي لها واحتوائها من خلال عمل دولي متفق عليه في إطار الأمم المتحدة بحيث يتم تحديد مفهوم الإرهاب فتعالج أسبابه للقضاء على هذه الظاهرة، فتصان حياة الأبرياء، وتحفظ للدول سيادتها، وللشعوب استقرارها وللعالم سلامته وأمنه. وعلى الغرب أن يتراجع عن كرهه الشديد للإسلام والمسلمين. وعليه أن يتحرر من عقدة الخوف من الإسلام واعتباره الخطر القادم، والعدو البديل بعد سقوط الاتحاد السوفييتي. ونحن كمسلمين نؤمن بالحوار لأننا مأمورون به شرعاً، ونرحب بثقافة الحوار بين الحضارات وكذلك بين الأديان، ونعارض بشدة مقولة هانتنغتون وغيره من مفكري الغرب الذين يؤمنون بحتمية الصراع أو الصدام بين الحضارات وخاصة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية.

والحوار من منظور إسلامي لا يقتصر على جانب دون آخر بل يمتد على مختلف النواحي الفكرية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. كقضايا السلام والبيئة والفقر ونزع أسلحة الدمار الشامل، والصحة وحقوق الإنسان والمخدرات وما إلى ذلك من القضايا التي تشكل تحديات تواجه البشرية في هذا العصر، من أجل الوصول إلى حلول معقولة ومقبولة لتلك القضايا أو المشكلات. وإذن فعالمنا اليوم بحاجة ماسة إلى الحوار من أجل التفاهم والتعايش وتحقيق الأمن والطمأنينة والسلام بين الشعوب لا إلى الصراع أو الصدام الذي يشكل خطراً على الأمن والسلام ولا يحقق للشعوب الخير والرفاه والأمن وتقرير مصيرها. فالمجتمعات الإنسانية في أمس الحاجة الآن إلى الحوار وتبادل الآراء والأفكار في إطار من التسامح والتعايش السلمي.

أما سياسة الاستعلاء والنقاء العرقي والتمركز حول الذات، وتهميش الحضارات والثقافات الأخرى فهي من معوقات الحوار. ومن هنا فلكي يكون الغرب جاداً في اتجاهاته نحو الحوار من جهة، وحتى يكون الحوار مجدياً من جهة ثانية، فإن على الغرب أن يتخلص من نزعة الاستعلاء والعدوان، وأن ينظر إلى الآخر نظرة التكافؤ والقبول والاعتراف بحقه في هذا الوجود، وبخصوصيته التي لا يجوز لأحد السعي إلى تغييرها، وبمقومات استمرار بقائه مغايراً ومتميزاً، وبحقه في الحفاظ على هذه المقومات وتوريثها إلى أجياله المتعاقبة. وعلى الغرب أن يقلع عن نظرته الدونية، وأن يتخلى عن سياسة الإقصاء والتهميش وتجاهل مصلحة الآخر، لأن رفض التعددية وعدم احترام خصوصيات الآخر إنما يشكل عوائق أمام الحوار.

إن ما هو مقبول وصالح في نظر الغرب ليس بالضرورة مقبولاً أو صالحاً في نظر غيره. ولهذا فليس مطلوباً من الطرف الإسلامي من أجل التفاهم مع غيره أن يتنازل عن خصوصيته وهويته الثقافية لتكون ثقافة الغرب هي البديل، وذلك على نحو ما يدعو إليه بعض الغربيين ومنهم على سبيل المثال المفكر الإنجليزي بيرهام براون الذي كتب عام ١٩٩٤م يطالب العالم الإسلامي بضرورة الانسجام مع الاقتصاد الحديث، وقبول فكرة المساواة بين المرأة والرجل، وتمثل قواعد الديمقراطية بمصادرها وصيغها الغربية، ومنح الجميع حرية الاجتهاد الديني دون حصرها بالعلماء وأصحاب الاختصاص. وهذه المطالب تمثل بلا شك أقصى درجات الدعوة إلى التبعية(٦٦).

وبناءً على ما سبق يتضح أن الحوار بين الحضارات مطلب ضروري يحث عليه الإسلام في إطار قواعد وضوابط لتحقيق الأهداف المرجوة من هذا الحوار. وسنحاول إبراز هذه القواعد والضوابط من خلال النتائج العامة للبحث، إضافة إلى مجموعة من التوصيات.

**النتائج العامة:**

أولاً: إن فكرة نهاية التاريخ التي أعلنها فوكوياما ونظرية أو مقولة الصراع أو الصدام الحضاري والمركزية الحضارية والأطراف -نظرية المركز والمحيط - إنما تهدف جميعها إلى هيمنة الغرب وسيطرته حضارياً وثقافياً وتهميش الحضارات والثقافات الأخرى، وحضارتنا الإسلامية هي المستهدفة بالدرجة الأولى.

ثانياً: هناك ثابت أساسي في موقف الغرب والباقي متغيرات، ومصلحته هي الثابت الأساسي، فعندما تمس مصالحه يتغير موقفه.

ثالثاً: أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي تعرضت لها مراكز القوة والمال في أمريكا زادت من حدة التوتر في العلاقات بين العالم الغربي والعالم الإسلامي، وتمثل ذلك في الكره والعداء للإسلام والمسلمين واعتبار الإسلام مصدر الإرهاب دون أن يكون هناك اتفاق عالمي على تحديد مفهوم هذا المصطلح.

رابعاً: وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي أصبح الإسلام هو "العدو رقم ١" بالنسبة للغرب.

خامساً: إن نظرية أو مقولة الصراع بين الحضارات التي روجت لها مختلف وسائل الإعلام الأمريكية

---

٦٦- الشيخ محمد علي التسخيري، "العلاقة بين الإسلام والغرب: تأملات في رؤية عربية"، **مجلة المنهاج**، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، العدد ٢٢، السنة السادسة، ٢٠٠١م، ص ٢٥٣.

هي حالة أو مقولة عدوانية لها خطورتها على الأمن والسلم على الصعيد العالمي.

سادساً: حوار الحضارات شعار يطرح الآن وبحدة على المستوى العالمي. فالحوار من منظور إسلامي حالة إنسانية مقبولة ومعقولة، لكن طرح هذا الشعار الآن وبحدة كبديل للصراع بين الحضارات قد لا يخلو من البراءة، حيث يراد به في الغرب أن يتجه نحو تحقيق مصالحه حضارياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً ليكون استمراراً للسعي نحو تحقيق الأهداف والنوايا التي تضمنتها مقولة هانتنغتون، نظراً لانعدام أو اختلال توازن القوى والمصالح بين العالمين الإسلامي والغربي، بل وانعدام التكافؤ بين الطرفين المتحاورين. لكن ذلك لا يمنع المسلمين من استخدام الحوار للدفاع عن الإسلام والمسلمين في وجه حملات الكراهية والعداء والتشويه لصورة الإسلام والمسلمين من طرف بعض المفكرين في الغرب.

سابعاً: الحوار مشروع من منظور إسلامي. فالإسلام يحث عليه في إطار مجموعة من الأهداف والقواعد والضوابط.

**أولاً: أهداف الحوار:**

فالإنسان غايتها، منه تبدأ، وإليه تنتهي.

- التعارف الذي يستند إلى وحدة الخلق والنشأة. فالتمايز والاختلاف بين الشعوب ومعتقداتها وثقافاتها أمر طبيعي من جهة، ومن أجل التعارف الذي يترتب عليه التفاهم والتعايش ومن ثم التعاون لتحقيق كل ما فيه الخير للبشرية.
- العدل، وهو أساس الحوار الهادف، إنه أمر ربّاني، والإنسان بطبيعته يحب العدل والخير ويكره الظلم والشر.
- نشر قيم التسامح والرحمة والأخوة الإنسانية، وتحقيق الأمن والسلم والسعادة للبشرية.
- مواجهة ما يتعرض له عالم اليوم من تحديات وأزمات وخاصة في ظل امتلاك بعض الدول لأسلحة الدمار الشامل التي تهدد البشرية وحضارتها.

**ثانياً: قواعد الحوار:**

- حرية الدخول في الإسلام، فلا إكراه في الدين.
- عالمية رسالة الإسلام، فلما كانت الرسالة الإسلامية ذات نزعة إنسانية عالمية ويتحمل المكلفون مسؤولية نشرها وتبليغها إلى كافة الناس فقد ربط الإسلام ذلك كله بمبدأ الحوار.
- أن يكون الهدف من الحوار الوصول إلى الحق.

- احترام التعددية الثقافية أو التنوع الثقافي.
- استخدام أحسن الأساليب في الحوار مع الآخر، حيث تتأسس على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.
- التكافؤ بين الأطراف المتحاورة المستند إلى الاحترام المتبادل للوصول إلى النتائج التي توفر أسباب التعايش بين الحضارات.

**ثالثاً: ضوابط الحوار:**

- تعاون الأطراف المتحاورة في إقرار المبادئ الدينية المشتركة التي توجب احترام الإنسان وكرامته وحريته وأمنه، وتدعو إلى قيم المحبة والسلام والرحمة والتسامح، ومحاربة الظلم والفساد بمختلف أشكاله، والأوبئة الاجتماعية كالمخدرات والكحول والإباحية الجنسية.
- الالتزام بالقواعد القرآنية التي تحكم علاقة المسلمين بغيرهم.
- معيار التفاضل بين الناس هو التقوى، فالأكرم عند الله هو الأكثر تقوى وخشية منه تعالى، ومن ثم لا اعتبار للعرق أو اللون في التفاضل بين البشر من منظور إسلامي.
- وكل عرق أو جنس بشري يمكنه الإسهام في مسيرة التطور الحضاري إذا توفرت الشروط والعوامل التي تسهم في نشوء الحضارات وتطورها، ومن ثم فالإبداع الحضاري ليس مرهوناً بأمة معينة أو عرق بشري معين.
- الالتزام بجدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن.
- أن يكون الطرف الإسلامي المحاور مؤهلاً وقادراً على إبراز وجهة نظر الإسلام في القضايا والمسائل التي يتم الحوار حولها.

**التوصيات:**

- من الضروري أن يتصدى المفكرون في العالم الإسلامي لحملات التشويه لصور الإسلام والمسلمين التي تقدمها وسائل الإعلام والدراسات والمقالات الغربية من خلال مناقشتها والرد عليها بأسلوب علمي.
- أن تقوم الجامعة العربية والمنظمات المتفرعة عنها ومنظمة المؤتمر الإسلامي بدورها في دحض الأباطيل التي تثار ضد الإسلام والمسلمين من خلال التحليلات والردود المضادة وفي مستوى ما ينتجه الآخر.

- أن يتصدى المفكرون في العالم الإسلامي لمروجي نظرية أو مقولة الصراع بين الحضارات بنشر الردود عليها وبمختلف اللغات العالمية.
- أن تتولى وزارات الثقافة والإعلام في العالم الإسلامي توضيح موقف الإسلام من حوار الحضارات وإبراز أهداف الحوار وقواعده وضوابطه من منظور إسلامي.
- السعي من طرف المفكرين في العالم الإسلامي إلى مواصلة تحليل مقولة هانتنغتون وبيان ما اشتملت عليه من مغالطات وأهداف.
- المشاركة الفاعلة في جميع المؤتمرات العالمية التي تعقد للحديث عن حوار الحضارات وذلك من طرف مختصين ومؤهلين وقادرين على إبراز وجهة نظر الإسلام في ذلك.
- السعي لعقد مؤتمر دولي في إحدى العواصم الغربية يتم من خلاله الحديث عن الأبعاد الخطيرة المترتبة على صدام الحضارات، وتوضيح وجهة نظر الإسلام في ذلك، وموقفه من الحوار بينها.
- يجب العمل على ألا تظل أحداث الحادي عشر من سبتمبر الذريعة التي يلوح بها الغرب للإساءة إلى الإسلام والمسلمين واتهامهم بالتطرف والإرهاب.
- ومن الضروري أن يتعاون قادة الفكر في العالم وجميع المؤسسات الدولية وفي مقدمتها هيئة الأمم المتحدة على تحديد مفهوم موحد للإرهاب.

****